الإحالة بالضمير في النّص الشّعري
قصيدة (فراق) لأحمد رفيق المهدوي أنموذجا

د. فتحي البشير الرجيبي

فسم اللغة العربية – كلية التربية أبوعيسى
جامعة الزاوية

الملخَّص:

تعد الإحالة وسيلة من أهم وسائل الاتساق النصي، حيث إنّها (الإحالة) تحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النّص فتجعل أجزاءه متماسكة مشكّلة بذلك كلاً موحّداً، وتعد هذه العلاقات الدلالية سمة مميزة للنّص باعتباره وحدة دلالية.

وتقوم ضمائر (المتكلم، المخاطب، والغائب،) بدور بارز في إحكام بنية النّص الشعري وتماسكه، وتعد البنية الإحالية للضمائر الوسيلة الأكثر قوة في صنع التماسك الدلالي للنّص الشعري وتجسيد وحدته العامة، بل إنّها تعد الوسيلة الأكثر قدرة على تحقيق التآلف ليس على مستوى الأبيات فحسب، بل على امتداد النّص باكمله، ذلك لأنّها تقرن بين الربط الرصفي والربط المفهومي أي بين ماهو لفظي وما هو معنوي.

Abstract:

Referral is one of the most important means of textual coherence, as it (referral) refers to the existing semantic relations within the text, making its parts coherent, thus forming a unified whole, and these semantic relations are a distinctive feature of the text as a semantic unit.

The pronouns (the speaker, the addressee, and the absent person) play a prominent role in tightening the structure and cohesion of the poetic text. Rather, throughout the text as a whole,

because it links the morpheme link with the conceptual link, i.e. between what is verbal and what is intangible.

المقدّمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا نعمتي العقل واللسان، وشرّفنا بالإنتماء إلى لغة القرآن الكريم، الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

من المعلوم أنّ التعامل مع اللغة في حدود الجملة كان المنهج المتبع لدى النحاة العرب، حيث استقصوا قواعدها، ونظموا أنماطها، وأطّروا حدودها، وفي المقابل أهتمّ الأصوليون، والمفسّرون، والبلاغيون بالخطاب بوصفه بنية متماسكة قائمة على عدد من الجمل على نحو لا يبتعد بالنّص عن سياقه الواقعي وأبعاده التداولية، وقد ظهر ضمن المناهج اللسانية الحديثة مقاربات نصّية تقوم على تحسس مواطن التماسك والإنسجام بين أجزاء النصوص، والواقع أنّ الاهتمام بالنسق، والنظام، والعلاقات التي تربط أجزاء النّص بعضها ببعض ليس وليدة هذا العصر، ولكنّها وُجدت بين علماء التراث أيضاً، وهي آليات كاملة متكاملة، ومن أهم وسائل التماسك النّصي، والربط بين أجزاء النصوص بصفة عامة (الإحالة) والتي لها تمثلات وتمظهرات متعددة أبرزها وأكثرها استعمالاً في النصوص عموماً –وفي النص الشِعري على وجه الخصوص– الإحالة بالضمير الذي يقوم بدور أساسي في الربط بين أجزاء النص، إنّ أشكال الترابط النّصي سواء كان بأدوات معينة، أو من دون أدوات تستلزم النظر إلى النّص بوصفه وحدة كاملة، لأنّها استعمالات لغوية غير عادية، ترتكز على عناصر التماسك لا يصرّح بها النّص، وإنّما تستنتج منه عن طريق أدلة وقرائن معنوية وسياقيّة ومعرفية، وجاءت الإحالة لتكون واحدة من الوسائل المهمة للربط، حيث استطاعت أن تمزج بين بعض الأنواع السابقة كاستخدام الضمائر وبعض الأدوات الأخرى.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطته من ثلاثة مباحث مسبوق بمقدمة ومتلوا بخاتمة ثم الهوامش والمصادر والمراجع حيث كان المبحث الأول بعنوان: مفهوم الإحالة والضمير، أمّا المبحث الثاني كان بعنوان: الإحالة في الثرات العربي، والمبحث الثالث بعنوان: تطبيق الإحالة في قصيدة الفراق للشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي، ثم الخاتمة.

المبحث الأول مفهوم الإحالة والضمير:

أولاً- الإحالة في اللغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور (ت:711 هـ) حول: الحول سنة بأسرها، والجمع أحوال وحوول وحؤول، وحال عليه الحول حوْلاً، وحؤولاً: أتى، وأحال الشيء واحتال:أتى عليه حول كامل، الحوال والمحال من الكلام: ما عُدِل به عن وجهه، وحوّله جعله مُحالاً، وأحال أتى بمحال، ورجل محوال: كثير مُحال الكلام، وكلام مستحيل: مُحالٌ، ويقال: أحلت الكلام أُحيله إحالة إذا أفسدته، وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنّه قال: المحال الكلام لغير شيء ... والحوال كل شيءٍ حال بين اثنين ... وتحوّل عن الشيء زال عنه إلى غيره ... حال الرجل يحول مثل تحوّل من موضع إلى موضع (1)

ثانياً- الإحالة في الاصطلاح:

لم يتفق علماء النّصية على تعريف نهائي له حيث تعددت التعريفات ومن أهمها:

يذكر (دي بوجراند) في تعريفه للإحالة قائلاً:" العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والأحداث والمواقف في العالم الخارجي الذي يدلّ عليه بالعبارات ذات الطابع الاختياري في نص ما" (2)

وقد استخدم الباحثان (هاليداي ورقية حسن) مصطلح الإحالة استعمالاً خاصاً وهو "أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتمتلك كل لغة على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة" (3)

ويتضح مما سبق أنّ الإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي وعنصر لغوي آخر داخل النّص أو عنصر خارجي، حيث يتوقف تفسير الأوّل إلا بالرجوع إلى الثاني الذي يحيل إليه، فيوضح دلالته ومعناه شريطة أن يكون هناك تطابق دلالي بينهما.

أما الدكتور (نعمان بوقرة) فيعرّف الإحالة بأنّها:" علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات، فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدّمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، وصورة الإحالة استخدام الضمير ليعود على اسم سابق ،أو لاحق بدلاً من تكرار الاسم نفسه"(4)

ثالثاً- أنواع الإحالة: (5)

تنقسم الإحالة إلى نوعين أساسيين هما:

1- إحالة نصّية، تسمى (إحالة داخلية).

2- إحالة مقامية، تسمى(إحالة خارجية).

رابعاً- أهمية الإحالة:

تكمن أهيمة الإحالة في أمرين: (6)

1- تحقق التماسك النصّي والربط التركيبي والدلالي بين أجزاء النّص، لا سيما المتباعدة منها؛ إذ أنّ تكرار الألفاظ قد يؤدي إلى حدوث لبس، أو غموض في فهم النّص، ولكن الإحالة عليها كفيلة بأن تخلق في النّص توازناً واعتدالاً.

2- الاقتصاد اللّغوي، حيث يسعى معيار الإحالة إلى الإيجاز في النّص، والاقتصاد في سرد الألفاظ، ولهذا نجد (دي بوجراند) يعد الإحالة من البدائل المهمة في إيجاد الكفاءة النصّية، ويذكر أنّه صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل.

خامساً- عناصر الإحالة:

تتوزّع عناصر الإحالة كما يلي: (7)

1- المتكلم أو الكاتب صانع النّص، وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد، حيث يشير علماء النص إلى أنّ الإحالة عمل إنساني.

2- اللفظ المحيل، وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسّد إمّا ظاهراً، وإمّا مقدّراً، كالضمير، أو الإشارة، وهو الذي سيحولنا ويغيرنا من اتجاه إلى اتجاه خارج النّص أو داخله.

3- المحال إليه، وهو موجود إمّا خارج النّص و إمّا داخله من الكلمات، أو عبارات، أو دلالات، وتفيد معرفة الإنسان بالنّص، وفهمه في الوصول إلى المحال إليه.

4- العلاقة بين اللفظ المحيل و المحال إليه، والمفروض أن يكون التطابق مجسداً بين اللفظ المحيل والمحال إليه.

ثانياً- الضمير:

خصص علماء النص المعاصرون مجالاً واسعاً في الحديث عن الضمائر، وأهميتها، ودورها في تحقيق تماسك النّص الشكلي والدّلالي، فهي تنقسم إلى ضمائر وجودية مثل ضمائر المتكلم(أنا ونحن)، وضمائر المخاطب أنتَ، أنتِ، وأنتما، وأنتم، وأنتنَّ، وضمائر الغائب هو، وهي، وهما، وهن، وهم، وإلى ضمائر الملكية مثل كتابي، كتابهم، كتابنا...الخ (8)، وإذا نظرنا إلى الضمائر من ناحية الاتساق أمكن التمييز فيها بين أدوات الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، وهي إحالة لخارج النّص بشكل نمطي، ولا تصبح داخل النّص أي اتساقية إلا في كلام المستشهد به، أو الخطابات المكتوبة (9)، كما يُعدّ الضبط بالضمير بديلاً لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار، بل إنّ الضمير إذا اتصل فقد أضاف إلى الدقة والاختصار عنصراً ثالثاً هو الاقتصار (10)، فدور الضمائر يكمن في تشكيل معنى النّص، وإبرازه فهو يسهم في عدم إعادة الألفاظ وتكرارها مما يزيد في تماسك النّص، وانسجامه وقد يتعدد دور الضمائر في عملية الإحالة، فتارة يحيل إلى كلمة مفردة، وفي بعض الأحيان يحيل إلى جملة، وأحياناً يحيل إلى ترتيب، أو خطاب.

المبحث الثاني- الإحالة في التراث العربي:

لم يرد مصطلح الإحالة بشكل صريح في النحو العربي القديم، وإنّما ورد ما يدل على مفهومه، إنّ المتتبع للتراث العربي يجد أنّ النحاة القدامى، قد تناولوا الإحالة في بعض القضايا النحوية، فقد أهتمّوا بقضايا الإسناد والابتداء، والفاعلية وغيرها مما يتعلق بالجملة وتنبهوا إلى ضرورة وجود التماسك، ولكن على مستوى الجملة فقط.

واستحوذت دراسة الضمائر العربية على مساحة كبيرة من الدرس النحوي القديم، ونصيب وافر من المباحث النحوية، واستقطبت اهتمام النحويين القدماء، فتكلموا عنه في مصنّفاتهم، وتحدثوا عن أحكامه ومواضيعه، فتبلورت هذه المعالجات في إشارتهم إلى مرجعية هذه الضمائر، أهي إلى مذكور في النّص صراحة؟ وهل هذا المذكور سابق أم لاحق؟ أم هو غير مذكور في النّص وهناك ما يدل عليه.

فدرسوا الإحالة بنوعيها القبلية، والبعدية حين تكلّموا عن الضمير وعائده، وعن قرائن الرتبة في تحديد عائده على متقدم أم متأخر، واشترطوا كذلك في الجملة صلة الموصول ضميراً عائد تفسره جملة الصلة التي ينبغي أن تكون معلومة لدى السامع، وفي هذا السياق تحدث سيبويه (ت:180 هـ) عن العمل الذي تؤديه المعوضات أو الأسماء المبهمة التي تمتلك سمة الإحالة "ففي قولك: هذا عبد الله منطلقاً اسم مبتدأ بُني عليه ما بعده (عبد الله)، ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يُبنى عليه، أو يُبنى على ما قبله" (11)، وكذلك نجده ينبّه على مرجعية الضمير في مثل قولنا: (رجل حسن وجهه)، حيث ذكر أن (الهاء) هي إضمار الرجل، غير أنّها هنا على مستوى الجملة لا النّص، وتحدّث كذلك عن أهمية الضمير الذي يحيل إلى السابق، في قوله:"قولك يوم الجمعة ألقاك فيه، وأقلُّ يوم لا ألقاك فيه، وأقلُّ يوم لا أصوم فيه، ويوم الجمعة صمته...، حيث كان المضمر (الهاء) هو الأول (يوم الجمعة)، ولا يحسن في الكلام أن يحصل الفعل مبنياً على الاسم (السابق)، ولا يذكر علاقة إضمار الأوّل حتى يخرج من لفظ الإعمال في الأوّل ومن حال بناء الاسم عليه وتشغله بغير الأوّل..."(12)، ونجد أيضاً الزمخشري (ت: 358 هـ) يتكلم عن الموصول ويشترط وجود ضمير عائد تفسره صلة الموصول، حيث يقول:" ما لابدّ له في تمامه اسماً من جملة ترد فيه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه"(13)، وعليه تكون وظيفة الضمير هنا الإحالة إلى شيء سابق، فيحدث الربط بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري.

ويُعدّ ابن رشيق القيرواني (ت:456 هـ) أوّل من أشار إلى الإحالة وعدها مصطلحاً لغوياً، أو نحوياً في التراث العربي، حيث يقول في كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه):" ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة، ويشير به إشارة، فيأتي به كأنه نظم الأخبار، أو شبيه به... فهذا النوع أبعد تضمينات كلها، وأقلّها وجوداً(14)، وذلك نحو قول أبي تمّام:

لعمرو مع الرّمضاء والنّار تلتظي **** أرق وأحنى في ساعة الكرب (15)

البيت المضروب به المثل وهو:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فيتضح أن (ابن رشيق) يستعمل مصطلح (الإحالة) لتمييز بين دلالة التضمين المألوفة التي تعني حضور نص سابق زمنياً في نص لاحق، وبين الإحالة التي تعني إقامة نوع من الترابط اللفظي والدلالي بين نص سابق ونص لاحق من دون حضور النص الأوّل في صورة التضمين المألوفة. (16)

وظهر مصطلح الإحالة عند حازم القرطاجني (ت:684 هـ) في كتابه المشهور (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، حيث ورد ذكره في هذا الكتاب تسع عشرة مرة في سياقات متعددة (17)، وقد تتبع (زياد صالح الزغبي) تجلياتها ونشأتها التاريخية، حيث يقول: " وملاحظات الشعراء والأقاصيص والأخبار المستطرفة في أشعارهم ومناسباتهم بين تلك المعاني المتقدمة، والمعاني المقاربة لزمان وجودهم، والكائنة فيها التي يبنون عليها أشعارهم مما يحسن في صناعة الشعر، ويجب للشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور الذي هو أوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه ويعلقه على طريق التشبيه، أو التنظير، أو المثل، أو غير ذلك، ويسمى ما تسبب إلى ذكره من القصص المتقدمة المأثورة بذكر قصة، أو حال معهودة (الإحالة) لأن الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور"(18).

ويتضح من أرآء العلماء أنّ مصطلح الإحالة مصطلح قديم، ولكنّه بمفهوم استخدامه والتوسع فيه وفي تطبيقاته في علم اللغة النصّي، إنّما هو مصطلح جديد من هذه الرؤية لهذا لم يتفقوا على تعريف نهائي له.

المبحث الثالث– تطبيق الإحالة الضميرية في قصيدة فِراق:

رحيلي عنك، عزّ عليَّ جدا	وداعا أيها الوطن المفدّى
وداع مفارق، بالرغم شاءت	له الأقدار نيل العيش كدّا
وخير من رفاه العيش كد	إذا أنا عشت حرا مستبدا
سأرحل عنك يا وطني وأني	لأعلم أنني قد جئت ادّا
ولكنّي أطعت اباء نفس	أبت لمرادها في الكون حدا
علو النفس إن عظمت شقاء	يلذ لمن إلى المجد استعدا
إذا ارزق الفتى نفسا عزوفا	تهاون بالخطوبي وزاد حدا

طلبت العزة في وطني مقيما فأوسعني زمان السوء ردا
سأركب عزمة حذاء أمضي أقدّ بها حجاب الغيب قدّا
أبلغها وراء السعي عذرا لنجح صد عنها أو تصدّا
سواء عاد بعد الجهد ساع بفوز أم سعى حتى تردّى
فلم أر راضيا بالعيش إلا ضعيفا أومن الجبن استمدا
ويا وطني هجرتك لا لبغض ولا أني منحت سواك ودا
فلا والله ما هجرت حتى جهدت ولم أجد من ذاك بدا
يقول: لي الصديق أرح ركابا فأنك واجد أربا وجدا
يكلفني لأبلغ من حطام غنى أرضي به ليدي قدّا
فقلت لطالب الاحسان قيدا قبول القيد من شيم العبدا
هداك الله كيف تطيب نفسي وفي عنقي أرى للأسر قدا
تعفف ليس غير الله يعطي بلا من ولا شكر يؤدّى
ويا وطني نباني عنك حبا وأحيانا يكون الحب صدّا
وقد يأتي الغيور بما تراه خلى من جوى للعقل ضدا
فلست آلام في ترك حبيبا أرى في حبه الأعداء ندا
ويا وطني وداعا من محب تحير رأيه أخذ وردا
وداعا لا أظن له لقاء فوا أسفا إذا ما البين جدا
أناديه وقد زمت ركابي وهدّ البين ركن الصبر هدا
وجاشت تخنق العبرات صوتي وداعا أيها الوطن المفدى .(19)

ينقسم الضمير إلى أقسام متعددة، وذلك حسب اعتبارات مختلفة، فباعتبار معناه يقسّم إلى ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، وباعتبار استعماله يقسّم إلى قسمين مستتر وبارز، ويقسّم باعتبار لصوقه إلى منفصل ومتصل، ويرى علماء النّص أن ضمائر المتكلم والمخاطب تحيل إلى شيء خارج النّص، فهي تُعدُّ من قبيل الإحالة الخارجية، أمّا ضمائر الغيبة فهي تحيل غالباً إلى شيء داخل النّص فتكون إحالة نصّية (داخلية) قبلية أو بعدية(20).

أولاً: الإحالة بضمائر المتكلم:

المقصود بالمتكلم هو منشيء الخطاب وذلك قصد توصيل الرسالة إلى المتلقي لتحقيق أهداف معينة من ذلك، فهو من العناصر الأساسية في عملية التواصل ويمثّل أحد مقومات المعنى لما له من أثر في دلالة النصوص فـ(بدون المرسل لا تكون اللغة فاعلة)(21)، ويلاحظ أن الشاعر أحمد رفيق المهدوي استعمل ضمائر المتكلم في معظم أبيات القصيدة (فِراق) للإحالة إلى خارج النّص، وكان أغلبها عائد على الذات المتكلمة والتي هي الشاعر نفسه.

استعمل الشاعر في هذه القصيدة ضمير المتكلم البارز المنفصل (أنا) مرة واحدة في البيت الثالث (إذا أنا عشت) ليحيل بها إلى الشاعر نفسه إحالة خارجية (خارج النص) تفهم من سياق الكلام، وكذلك استعمل الشاعر الضمير المستتر (أنا) في أغلب القصيدة في مواضع عدّة منها (سأرحل أنا)، (لأعلم أنا)، (سأركب أنا)، (أقعد أنا)، (أبلغها أنا)، (أبلغ أنا)، (أرض أنا)، (أرى أنا)، كلها عناصر إحالية تحيل على عنصر إشاري خارج النص ليفسره ويوضحه، والشاعر نفسه ذاتاً مرسلة للخطاب فتحدث عن رحيله عن وطنه مرغماً بسبب ظلم الأعداء له داخل وطنه وكانت الضمائر البارزة المتصلة لها دور بارز في أبيات القصيدة حيث تعددت أنواعها فالضمير (الياء) المتصل في كل من (رحيلي، وطني، عليّ، عنقي، تركي، ركابي، صوتي) كلها إحالات خارجية تعود إلى الذات المتكلمة (الشاعر نفسه) الذي رسم لنا صوراً تهزّ وجدانه بسبب مفارقة وطنه الذي عاش فيه ردحا من وهو هنا يخشى ألّا يعودإليه، وكذلك استعمل الشاعر ضمير المتكلم المتصل (التاء) في (جئت، أطعت، هجرت، منحت، هاجرت، جهدت، فقلت) والتي أغلبها في محل رفع فاعل، هي إحالة مقامية تعود على الشاعر، وكل هذه الإحالات ساهمت في ربط هذا النّص الشعري بعالمه الخارجي، وذلك بتفسيره، وإحالته إلى الشاعر تارة وإلى الوطن تارةً أخرى، وكذلك استعمل الشاعر بعض الضمائر المتصلة للنصب لتزيد من تماسك النص الشعري وإعطاءه المزيد من الإثارة مثل (وأنّي، أنني، لكنّي، أوسعني، فإنّك) وفي هذه الأبيات تجسدت في هذه الضمائر الخاصة بالنصب والتي أحالت كلها على الشاعر، وربطت فضاء النص بالواقع الخارجي، ولم يفت الشاعر استعمال ضمائر الجر لربط أبيات القصيدة بعضها ببعض

والمتمثلة فـ(بي، عنك، لي، صوتي، تركي، حبه، عنها) فكانت هذه الضمائر إمّا واقعة في محل جر بالإضافة، وإمّا في محل جر بحرف الجر فتنوعت بين الياء والكاف والهاء.

ثانياً: الإحالة بضمائر المخاطب:

المقصود بالمخاطب هو السامع ، فلا إشكال في مرجعه ولكن قد يراد بالخطاب العموم، فيشمل من يأتي بعده بل يصلح للمخاطبة بمثله(22)، وهو الطرف الثاني في عملية التواصل الذي يوجّه إليه المتكلم خطابه عمداً فلا يكتمل الإبلاغ إلا بوجود مخاطب، أو متلقي يتأثر بمفاهيم النّص ومعانيه، وتتمثل ضمائره التي وردت في قصيدة (فِراق) الضمير (أنتَ)، ومن خلال رصد ضمائر المخاطب في القصيدة أنها اقتصرت على ضمير الخطاب المنفصل أنت المستتر في بيتين من أبيات القصيدة فـ(تعفف أنت، وتراه أنت) من خلال هاذين البيتين أنّ ضمير المخاطب (أنتَ) أحال عنصر إشاري قبلي وهو الشاعر والوطن محققاً بذلك الإحالة القبلية فالشاعر يرتقي بنفسه ووطنه ويعتز بانتماءه إلى وطنه محارباً بذلك الاستعمار البغيض الذي جعله يرحل عن وطنه مكرهاً، ويبدو أن الشاعر قد وظّف ضمير المخاطب المتصل (الكاف) والمتمثل في (هجرتك، سواك) عنصراً إحالياً يحيل به إلى العنصر الإشاري المقامي، وهو الوطن محققاً بذلك إحالة مقامية أدت إلى توسيع دلالة النص، وربطه بسياق المقام الخارجي، حيث جعلت القاريء يتصور فضاءً نصّياً عن طريق تأويل تلك العناصر.

ثالثاً: الإحالة بضمائر الغائب:

ضمير الغائب أكثر الضمائر غموضاً وأحوجها إلى مرجع يفسره ويوضح المراد منه لذا اشترط النحاة ذلك بقولهم:" لكل ضمير غيبة مرجع يرجع إليه متقدم عليه إمّا لفظاً ورتبة، وإمّا لفظاً، وإمّا رتبة، نحو: قابل خالدٌ جارَه، قابل خالداً جارُه، قابل جارَه خالدٌ، ولايقال : (قابل جارُه خالدًا)لأن الضمير حينئذ يعود على متأخر لفظا ورتبة وقد يعود إلى متقدم معنى لا لفظاً مثل قوله تعالى [اعْدِلُوا هُو أَقْرَبُ للتَّقْوَى](23)، فالضمير (هو) يعود إلى العدل المفهوم من قوله (اعدلوا)، وقلما يعود إلى غير مذكور لا لفظاً ولا معنى ولا يكون ذلك إلا عند قيام قرينة لدى السامع على المقصود منه " (24).

والتحليل النصّي للعناصر الإحالية من خلال رصد ضمائر الغائب في القصيدة يظهر أنها كثيرة، فجاء بها الشاعر ليحكم بُنية القصيدة ويجعلها نسيجاً موحداً عن طريق الإحالة بها داخل النّص، فتتضمن القصيدة إحالة نصّية قبلية عن طريق ضمير الغائب المستتر الخاص بالمؤنث (هي) والمتمثل في (أبت هي)، (عظمت هي)، الذي أحال إلى اسم سابق (النفس) فأسهم في ربط صدر البيت بعجزه، وكذلك بجد الإحالة المقامية من خلال الضمير الغائب المفرد المذكر (هو) المستتر يعود على الشاعر والوطن فالضمير الغائب هو والمتمثل فـ(عزّ هو، يلذ هو، استعد هو، تهاون هو، زاد هو، صدّ هو، يكلفني هو، يعطي هو) يحيل خارج النص إحالة مقامية إلى الشاعر نفسه بصفته ذاتاً مرسلة للخطاب الذي يتحدث من خارج وطنه متحسراً عليه، وما يعانيه الوطن من الاستعمار الإيطالي البغيض، واستعمل الشاعر في قصيدته كثير من الإحالات بضمير (الهاء) المتصل المتمثل في (أناديه، لمرادها، عنها، رأيه، له)، كل هذه الكلمات اتصلت بالضمير (الهاء) وكل هذه الضمائر تعود على الشاعر ووطنه الذي ضاع منه وهجره إلى بلاد الغربة التي لا يستطيع العيش فيها، واختلفت عودة الضمير (الهاء) بين القبلية والبعدية حسب أحاسيس الشاعر النفسية الذي حاول ترويض نفسه على حياته الجديدة في المنفى.

الخاتمة:

إنّ المتأمل للإحالة بالضمائر يرى أنها الوسيلة الأكثر قوة في تماسك النص، وهي لا تقل دوراً عن بقية الوسائل الأخرى، ولقد بدأ واضحاً الدور الذي قامت به الضمائر في إحكام النّص الشعري وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج أهمها:

1- الإحالة مصطلح جديد في ساحة الدراسات اللّغوية المعاصرة لكن له جذور في تراثنا العربي.

2- أسهمت الإحالة بنوعيها في تعليق الكلام بعضه ببعض وتعد الضمائر أكثر الأدوات تحقيقاً للتماسك والترابط النصّي.

3- لم يقتصر دور الضمائر على الربط بين أجزاء النّص، بل كان لها دور بارز في إزالة اللبس والابهام والتكرار.

الهوامش

1- ينظر لسان العرب لابن منظور 664/2-665.

2- النص والخطاب والإجراء لدي بجراند ص 172.

3- لسانيات النص لمحمد خطابي ص 16-17.

4- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب لنعمان بوقرة ص81.

5- ينظر لسانيات النص لمحمد خطابي ص17.

6- ينظر الترابط النصي في الخطاب السياسي لسالم بن محمد المنظري ص74-75.

7- الإحالة في نحو النص لأحمد عفيفي ص15-16.

8- لسانيات النص لمحمد خطابي ص18.

9- ينظر: المصدر السابق ص20.

10- ينظر: الترابط النصّي في ضوء التحليل اللساني للبطاشي خليل بن ياسر ص16.

11- الكتاب لسيبويه 78/2.

12- المصدر السابق 84/1-87.

13- المفصّل في علم العربية الزمخشري ص142.

14- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده لابن رشيق القيرواني 88/2.

15- ينظر: ديوان أبي تمام الطائي ص38.

16- السبك في العربية المعاصرة لمحمد أبو غفرة ص29.

17- ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطجنّي ص29-30.

18- ينظر: المصدر السابق الموضع نفسه

19- ينظر: ديوان أحمد رفيق المهدوي ص53-54.

20- نحو النص إتجاه جديد في الدرس النحوي لأحمد عفيفي ص17.

21- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها لتمّام حسّان ص108.

22- ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية للهادي الشهر45 ص

23 -سورة المائدة الآية 8.

24- الموجز في قواعد اللغة العربية لسعيد الأفغاني ص105-106

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

1- الإحالة في نحو النص لأحمد عفيفي، كلية دار العلوم القاهرة 2000.

2- استراتجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، لعبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ط1 /2004.

3- الترابط النصي في الخطاب اللساني لسالم محمد المطري، عمّان ط1 /2005.

4- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب للبطاشي خليل بن ياسر، دار جرير للنشر 2002.

5- ديوان أحمد رفيق المهدوي، طبعة وزارة العمل والشؤون الإجتماعية المملكة الليبية ط1 /1962.

6- ديوان أبي تمام الطائي، فسر ألفاظه اللغوي محمد محيي الدين خياط، الناشر محمد جمال دط/دت.

7- السبك في العربية المعاصرة لمحمد غفرة، معهد البحوث والدراسات اللغوية القاهرة 2008.

8- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع بيروت ط5 /1981.

9- الكتاب لسبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر القاهرة ط3 /1988.

10- لسان العرب لابن منظور، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين، دار الحديثة القاهرة 2002.

11- لسانيات النص محمد خطابي، المركز الثقافي العربي بيروت ط1 /1991.

12-اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان دار الثقافة المغرب 1994.

13- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، لنعمان بوقرّة عالم الكتب الحديثة عمّان 2001.

14- المفصل في علم اللغة للزمخشري، دار الجيل للنشر والطباعة بيروت دط /دت.

15- الموجز في قواعد العربية لسعيد الأفغاني، دار المنير للطباعة والنشر بيروت ط1 /2003.

16-نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، لأحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ط1 /2001.

17- النص والخطاب والإجراء، لدي بوجراند، ترجمة تمام حسان عالم الكتب ط1 /1995.